

## العدل والإحسان بين المفهوم اللغوي والاصطلاح القرآني.

د. خيرة غانم

جامعة الشلف . الجزائر .

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على أشرف رسول ومعلّم، وعلى آله وصحبه والتابعين، حاملي مشعل العلم إلى يوم الدين.

أما بعد، فإنّ المعاني السامية التي جاء بها الإسلام بمصدره العظيم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لا يكاد يحيط بها علم البشر، إلاّ أن ينير الله بصائر عباده الصالحين ليسخّروهم لخدمة هذا الدين، وذلك بتفسير كلامه عز وجلّ وتحلية معانيه، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، حتى يقبل عامة الناس على هذا النبع العظيم فينهلوا منه ويرووا ظمأهم إلى الخير والصلاح.

وإذا كان الأمر كذلك، فلا غرو أن يسعى المهتمون بالدراسات القرآنية إلى البحث في قيم القرآن العظيمة التي أرساها، وجعلها قواعد يقوم عليهما صلاح الدنيا والآخرة. ولعلّ أعظم هذه القيم التي نصّ عليها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، قيمتا العدل والإحسان. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

فما هو مفهوم العدل والإحسان؟ وما مناسبة الجمع بينهما؟ وما مدى اتّساع معانيهما في القرآن الكريم، وما هي المجالات التي يشملها تطبيق هاتين القيمتين في ضوء ما نصّ عليه القرآن العظيم.

تلك هي التساؤلات التي يطرحها هذا البحث، ويحاول الإجابة عليها بهدف الكشف عن المعاني التي تنطوي عليها هاتان القيمتان، والآثار العظيمة التي تترتب على تطبيقهما وجعلهما مسلكا حياتيا يحقق به الفرد والأمة سعادة الدنيا والآخرة.

### 1. مفهوم العدل والإحسان ومعانيهما في القرآن الكريم

مما لا شك فيه أن المفردة القرآنية هي أصل الدقة في التعبير القرآني، إذ على الرغم من

كونها من صميم المعجم اللغوي العربي، إلا أنّ تعلقها بالسياق القرآني يجعل منها مصطلحا قرآنيا خاصا يستحيل تعويضه بأي مرادف آخر مهما كان قريبا منه في المعنى. لذلك عمدنا في هذا المبحث إلى التمييز بين المعنى اللغوي للمفردة القرآنية، محل البحث، والاصطلاح القرآني.

## أ. العدل

جاء عن الأصمعي قول العرب: عدلت الجوّالِق (الوعاء) على البعير أعدلته عدلا ، أي حملت على جنب البعير وعدلت بآخر، ويقال : عدلت أمتعة البيت إذا جعلتها أعدالا مستوية للاعتكاف يوم الظعن<sup>1</sup> .  
والعدل بالفتح ما عادل الشيء من غير جنسه، والعدل بالكسر : المثل ، وذلك أن تقول : عندي عدل غلامك، وعدل شاتك إذا كانت شاة تعدل شاة أو غلام يعدل غلاما ، فإذا أردت قيمته من غير جنسه نصبت العين<sup>2</sup> .  
وذكر الأخفش أنّ العدل بالكسر، بمعنى:المثل، فهو اسم، أمّا العدل بالفتح، فهو المصدر، تقول: "عدلت هذا بهذا عدلا حسنا"<sup>3</sup> .

وعدلت فلانا بفلان إذا سوّيت بينهما، والعدل الذي يعادلك في الوزن والقدر<sup>4</sup> .  
وعدل الرجل في الحمل وعادله : ركب معه ، والعدل : نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير<sup>5</sup> .  
والاعتدال : توسط حال بين حالين في كم أو كيف كقولهم: جسم معتدل بين الطول والقصر ، وماء معتدل : بين البارد والحر ، وكل ما تناسب فقد اعتدل، وكل ما أقمته فقد عدلته<sup>6</sup> .

وأما عدل عن الشيء، فبمعنى ترك، يقال عدل الفحل عن الإبل إذا ترك الضراب، وعدل فلان عن الطريق إذا جار<sup>7</sup> .

هذا بالنسبة للمعاني اللغوية التي وردت في كلام العرب، وهي في مجملها تدور حول معنى مساواة الشيء بالشيء.

<sup>1</sup> ينظر لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت، مادة(عدل).

<sup>2</sup> ينظر تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين ط: الرابعة ، 1990م، مادة (عدل).

<sup>3</sup> ينظر معاني الأخفش، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة ( الأخفش الأوسط) مكتبة الخانجي، 1990م ، ط: الأولى، 288/1.

<sup>4</sup> م نفسه

<sup>5</sup> لسان العرب، مادة (عدل)

<sup>6</sup> م نفسه.

<sup>7</sup> ينظر الصحاح، مادة (عدل).

وقد اجتهد بعض العلماء في تحديد معنى العدل، فقال بعضهم: هو " استعمال الأمور في مواضعها، وأوقاتها، ووجوهها، ومقاديرها، من غير سرف، ولا تقصير، ولا تقديم، ولا تأخير"<sup>1</sup>.

وذكر الغزالي في سياق تفسيره لأسماء الله: "والعدل : ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور، ومن أسماء الله الحسنی: العدل وهو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم ، وهو في الأصل مصدر سمي به، فوضع موضع العادل وهو أبلغ منه ؛ لأنه جعل المسمى نفسه عدلا<sup>2</sup> .  
وقال الجرجاني: " العدل مصدر بمعنى العدالة ، وهو الاعتدال والاستقامة، وهو الميل إلى الحق"<sup>3</sup> .

أما العدل بوصفه مفردة قرآنية، فقد تعددت معانيه بتعدد السياقات التي ورد فيها ، وقد جاء بصيغ مختلفة، نحو الفعل، و الاسم و الوصف كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام:152].  
وقوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: 48].  
وقوله جلّ شأنه: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [الأنعام:95].

وإنّ تعلق معاني " عدل " ومشتقاته بالسياق القرآني جعلها بمثابة مصطلحات قرآنية ، كلّ مصطلح منها خاص بالسياق الذي ورد فيه ، لا يتعداه إلى غيره، وقد شملت هذه المصطلحات حقولا دلالية مختلفة ، سنعرض لها فيما يأتي:

### 1. العدل بمعنى التوحيد: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل:90].

نقل الطبري عن ابن عباس تفسيره للآية: إن الله يأمر بالعدل والإحسان أنّ العدل : شهادة أن لا إله إلا الله<sup>4</sup> .  
ونقل البغوي أيضا عن ابن عباس قوله بأنّ " العدل " : التوحيد ، و " الإحسان " : أداء الفرائض<sup>5</sup> .  
والتوحيد . كما هو معلوم . ، يقوم على إفراد الله بما يستحقه من الأسماء و الصفات والأفعال ، فهو إذن حق الله على عباده، والعدل يقتضي أداء هذا الحق، أي التوحيد، حتى لا نقع في ظلم الشرك . قال عز وجل: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13].

<sup>1</sup> تهذيب الأخلاق ، المنسوب الى الجاحظ ص:28.

<sup>2</sup> المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنی للإمام أبي حامد الغزالي، تح محمد عثمان الشخت، دار القرآن بولاق. ص: 90.

<sup>3</sup> معجم التعريفات، للشريف الجرجاني، تحقيق محمد الصديق المنشاوي ، دار الفضيلة، ص:124.

<sup>4</sup> ينظر تفسير الطبري، لابن جرير الطبري، تحقيق محمود شاكر، طبعة دار المعارف ، ط: الثانية ، 280/17.

<sup>5</sup> ينظر تفسير البغوي، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله وآخرون، دار طيبة للنشر. 39/5.

2. العدل بمعنى القسط: في نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۗ اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:8]، أي لا تحملنكم عداوة قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وتعاملكم معهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة<sup>1</sup>.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ ذَٰلِكَ أَذَىٰ ۗ أَلَّا تَعْلَمُوا﴾ [النساء:3].  
فالله سبحانه وتعالى ينهى الرجال عن ظلم النساء والجور عليهن، وذلك بعدم العدل في القسم بينهن في النفقة والمبيت، ونحو ذلك<sup>2</sup>.

3. العدل بمعنى العلم والفقه: في نحو قوله تعالى: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة:95].

تتعلق الآية بأحكام الحج والعمرة، إذ يحرم على الحاج أو المعتمر الصيد مادام محرماً، فإن فعل وجب عليه تقديم هدي من النعم يشبه الذي قتله، وهذا ما يجعله يحتاج إلى ذوي الفقه والعلم .  
قال القرطبي: "إن اعتبار العدلين إنما وجب للنظر في حال الصيد من صغر وكبر، وما لا جنس له مما له جنس، وإلحاق ما لم يقع عليه نص بما وقع عليه النص"<sup>3</sup>.  
إذن ففقه الحكمين وعلمهما يجعلهما لا يجيدان عن مراد الشارع، وبذلك استحقا أن يكونا من ذوي العدل.

4. العدل بمعنى الفدية: نحو قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:48]

فقد تضمنت الآية التحذير من يوم الحساب، وتأسيس الكفار من دفع العذاب عنهم بشفاعة أو فداء يفتدون به أنفسهم يوم القيامة. وقد عبر عن الفداء بـ"عدل" وفي ذلك يقول الإمام البغوي: "وسمي به [أي سميت الفدية عدلاً] لأنه مثل المفدي . والعدل المثل"<sup>4</sup>.

وتأكيد هذا المعنى في آية أخرى من القرآن وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران:91].

<sup>1</sup> ينظر تفسير الطبري ، 95/10.

<sup>2</sup> م نفسه، 547/7.

<sup>3</sup> ينظر الجامع لأحكام القرآن ل محمد بن أحمد القرطبي، دار الفكر للطباعة والنشر. 235/6.

<sup>4</sup> تفسير البغوي، 90/1.

وإذا حقّ لي أن أجتهد في فهم العدل الذي هو بمعنى الفدية، فإني أقول: إذا كانت الفدية هي العوض الذي يقدمه المرء لتخليص نفسه أو غيره من ضرر ما، فهي من صميم العدل، ومن ذلك افتداء المرء نفسه من العذاب الذي توعدّ به الله الكفّار والعصاة، غير أنّ هذا مرتبط بأجل معيّن، محدد بما قبل حضور الموت؛ إذ قبل هذا الموعد تكون فدية المرء نفسه من العذاب واجبة، وذلك ببذل ماله ونفسه وصحته وشبابه، وكل النعم التي أنعم بها الله عليه في سبيل تخليص نفسه من العذاب، وهذا من خالص عدل الله مع عباده. أما إذا تجاوز العبد هذا الأجل، فلا تقبل فديته، كما لا تقبل توبته، لأنه قد فات أوانها.

5. **العدل بمعنى : عدم التحريف** ، نحو قوله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة:282] . ففي الآية دعوة إلى المتدائنين بأن يختاروا كاتباً ثقة أميناً، لا يتلاعب بوثيقة الدين، بزيادة أو نقصان، أو تقديم أجل أو تأخير، لأنّ في ذلك جوراً على أحد المتدائنين، فلمّا كان في التحريف والزيادة والنقصان جور، سمّي المولى عز وجلّ تجنّب ذلك عدلاً. قال الإمام مالك رحمه الله: "لا يكتب الوثائق بين الناس إلا عارف بما عدل في نفسه مأمون ، لقوله تعالى: " وليكتب بينكم كاتب بالعدل"<sup>1</sup> .

6. **العدل بمعنى: عدم اتّباع الهوى**، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [النساء:135]. أي لا تتبعوا هوى أنفسكم لتتصفوا بالعدل<sup>2</sup>، وهذا معناه أنّ العدل هو ترك اتّباع الهوى. يقول الإمام الرازي: " وتحقيق الكلام [ يقصد في هذه الآية] أن العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى ، ومن ترك أحد النقيضين فقد حصل له الآخر ، فتقدير الآية : فلا تتبعوا الهوى لأجل أن تعدلوا يعني : اتركوا متابعة الهوى لأجل أن تعدلوا"<sup>3</sup> .

7. **العدل بمعنى: الصدق وقول الحق**، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام:152] فلفظ "اعدلوا" في هذا الموضع هو بمعنى: قولوا الحق واصدقوا في الحكم والشهادة، ولو كان الذي يتوجه الحق عليه من ذوي القربى<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الجامع لأحكام القرآن، 348/3.

<sup>2</sup> ينظر تفسير الطبري، 306/9.

<sup>3</sup> التفسير الكبير، الإمام فخر الدين الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر، ط: الأولى، 1981م، 75/11.

<sup>4</sup> ينظر تفسير الطبري، 226/12، و الكشاف لابن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:1، 2006، 62/1.

وقد فصل الإمام الشوكاني في هذا المعنى فقال: "وإذا قلتم فاعدلوا" أي إذا قلتم بقول في خبر أو شهادة أو جرح أو تعديل فاعدلوا فيه وتحزوا الصواب ، ولا تتعصبوا في ذلك لقريب ولا على بعيد ، ولا تميلوا إلى صديق ولا على عدو ، بل سوّوا بين الناس فإن ذلك من العدل الذي أمر الله به <sup>1</sup>.  
 وخلاصة القول في هذا، أنّ الصدق في القول والشهادة، يحقق العدل بين المتنازعين، ويدفع الجور عن المظلوم ، ولذلك سمّاه المولى عزّ وجلّ عدلاً.

8. العدل بمعنى: الحكم على بصيرة وعلم: نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف:181]

قال الزجاج: وبه يعدلون ؛ أي : وبالحق يحكمون<sup>2</sup>، وبذلك قال أيضا الإمام البغوي<sup>3</sup>

وقال ابن عاشور: " والمعنى: [ يقصد "وبه يعدلون"] أنهم يحكمون بالعدل على بصيرة وعلم، وليس بمجرد مصادفة الحق عن جهل" <sup>4</sup>.

ويؤكد هذا المعنى الذي ذهب إليه هؤلاء المفسرون قوله تعالى:

﴿ يَا ذَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص:26].

9. العدل بمعنى: المثل، نحو قوله تعالى: ﴿ هَدْيًا بِالْعِزِّ أَوْ كَفَّارَةً طَعَامٍ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾ [المائدة:95].

ذهب المفسرون في تفسيرهم لـ"عدل" في هذا الموضوع، إلى أنه بمعنى: مثل. قال الأخفش: " أو عدل ذلك صياما" يريد: أو عليه مثل ذلك من الصيام" <sup>5</sup>.

<sup>1</sup> فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني، راجعه واعتنى به: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، 2004، 458/1.

<sup>2</sup> معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق عبد الجليل شلبي، دار الحديث القاهرة، 2004م، 310/2.

<sup>3</sup> ينظر تفسير البغوي، 291/3.

<sup>4</sup> التحرير والتنوير، 142/10.

<sup>5</sup> معاني الأخفش، 288/1 .

10. العدل بمعنى: مجامع الفضائل، في نحو قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۗ وَهُوَ

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل:76].

جاء وصف "من يأمر بالعدل"، مقابلا لصفات الأول، وهي كونه أبكم وغير قادر، وكألاً على مولاه، ولا يأتي بخير، فدل ذلك على أن الأمر بالعدل يجب أن يكون ناطقا ، وقادرا، ونافعا للناس بعلمه ، وكافيا لهم في مهماتهم، ومن ثم فهو جامع لصفات الفضل.

يؤكد هذا المعنى ما ذهب إليه العديد من أئمة التفسير.

قال الإمام الألويسي: "ومن يأمر بالعدل، ومن هو منطيق فهم ذو رأي ورشد يكفي الناس في مهماتهم وينفعهم بختهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل" <sup>1</sup>.

وقال الإمام الرازي: "واعلم أن الأمر بالعدل يجب أن يكون موصوفا بالنطق وإلا لم يكن أمرا . ويجب أن يكون قادرا ؛ لأن الأمر مشعر بعلو المرتبة ، وذلك لا يحصل إلا مع كونه قادرا ، ويجب أن يكون عالما حتى يمكنه التمييز بين العدل وبين الجور . فثبت أن وصفه بأنه يأمر بالعدل يتضمن وصفه بكونه قادرا عالما" <sup>2</sup>.

11. العدل بمعنى: الإشراف، أو الانحراف عن الحق، في نحو قوله تعالى: ﴿ أَلَلَّهُ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ

يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل:60].

ذهب المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ مذهبين:

الأول: أن يعدلون بمعنى يجعلون لله نظيرا ، أي يشركون به غيره <sup>3</sup>.

الثاني: أن يعدلون بمعنى: ينحرفون عن الحق ، لأن عدل عن الشيء بمعنى تركه وانحرف عنه <sup>4</sup>.

وهناك من المفسرين من جمع بين المعنيين لعدم التعارض بينهما؛ لأن من يجعل لله نظيرا فقد انحرف عن الحق، ومن ينحرف عن الحق يجعل لله نظيرا. قال صاحب نظم الدرر: "قوم يعدلون" أي: عن الحق الذي لا مزية فيه إلى غيره ، مع العلم بالحق ، فيعدلون بالله غيره" <sup>5</sup>.

<sup>1</sup> تفسير الألويسي، لشهلب الدين الألويسي، دار إحياء التراث العربي، 197/14.

<sup>2</sup> التفسير الكبير ، 88/20.

<sup>3</sup> ينظر تفسير ابن كثير، 202/6.

<sup>4</sup> ينظر تفسير الطبري، 484/19، والجامع لأحكام التنزيل، 205/13، و تفسير الألويسي، 5/20.

<sup>5</sup> نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، 188/14.

تلك هي جملة المعاني الاصطلاحية التي دلّ عليها لفظ "العدل" ومشتقاته في القرآن الكريم، وهي كما يظهر للمتمعن فيها غير متعارضة فيما بينها، وإنما هي أجزاء العدل التي يكتمل بعضها بعضها. كما أنها شروط العدل وصفات العدول؛ لأن مدارها كلّها على التقوى والعلم وفضائل الصفات والأعمال.

يقول الماوردي في تعريف العدالة التي هي شرط من شروط الولاية والشهادة: "والعدالة: أن يكون صادق اللهجة ظاهر الأمانة، عفيفا عن المحارم متوقيا المآثم، بعيدا من الريب، مأمونا في الرضا والغضب، مستعملا لمروءة مثله في دينه ودينه، فإذا تكاملت فيه فهي العدالة التي تجوز بها شهادته وتصح معها ولايته، وإن انخرم منها وصف منع من الشهادة والولاية فلم يسمع له قول ولم ينفذ له حكم"<sup>1</sup>.

ويؤكد هذه المعاني السابقة ما جاء عن الشوكاني أنّ "العدالة ملاك الأمور وعليها تدور الدوائر ولا ينهض بتلك الأمور التي ذكرنا أنها المقصودة من الإمامة إلا العدل الذي تجري أفعاله وأقواله وتديراته على مرضي الرب سبحانه، فإنّ من لا عدالة له لا يؤمن على نفسه فضلا عن أن يؤمن على عباد الله، ويوثق به في تدبير دينهم وديناهم. ومعلوم أن وازع الدين وعزيمة الورع لا تتم أمور الدين والدنيا إلا بها ومن لم يكن كذلك خبط في الضلالة وخلط في الجهالة واتبع شهوات نفسه وآثرها على مرضي الله ومرضيه عبادته"<sup>2</sup>.

غير أنّ العدل أو العدالة ليس محصورا في الولاية والشهادة، وإنما يشمل جوانب كثيرة من حياة الإنسان، بل يشمل حياة الإنسان بجميع تفاصيلها، وسنعرض لذلك في المبحث اللاحق إن شاء الله.

## ب. الإحسان

الإحسان: ضد الإساءة، من أحسن يحسن إحسانا فهو مُحسن ومُحسان.

وأما الأصل، فحُسن، وهو ضد القبح، يقال حُسُن يحسن حسنا، فهو حاسن، وحسن،

والجمع محاسن، على غير قياس.

والحسنة: ضد السيئة ج: حسنات.

ويقال: هو يحسن الشيء إحسانا، أي: يعلمه، وأحسن الشيء أي أتقنه وأجاده، قال صلى الله عليه وسلّم: "إنّ الله

كتب الإحسانَ على كلّ شيءٍ . فإذا قتلتم فأحسِنُوا القِتْلَةَ . وإذا ذبحتم فأحسِنُوا الذبْحَ . وليُجِدَّ أحدكم شفرته . فليُرْخِ

ذبيحته [ رواه مسلم ] .

<sup>1</sup> الأحكام السلطانية لعلي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 84.

<sup>2</sup> السيل الجرار لمحمد بن علي الشوكاني، دار ابن حزم، ط: الأولى، ص: 938.



وأحسنت إليه، أي أوصلت إليه ما ينتفع به من الخير.

والفرق بين الإحسان والإنعام أن الإحسان يكون لنفس الإنسان ولغيره ، تقول : أحسنت إلى نفسي ، والإنعام لا يكون إلا لغيره .

وأحسن به الظن : نقيض أساءه ،

و يقال أحسن الرجل إذا جلس على الحسن ، وهو الكتيب النقي العالي <sup>1</sup>.

والإحسان كما عرّفه الجرجاني: فعل ما ينبغي أن يُفعل من الخير، وفي الشريعة: أن تعبد الله كأنك تراه <sup>2</sup>.

فهذه جملة المعاني التي توصل إليها المعجميون فيما يخصّ لفظ الإحسان في كلام العرب.

أما الإحسان باعتباره مفردة قرآنية، فقد ورد باشتقاقاته المختلفة في مواضع كثيرة، وبدلالات عديدة، سنتعرّض لها فيما يأتي:

## 1. الإحسان بمعنى: الإخلاص، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [ النحل:90].

قال الإمام البغوي في تفسيره لهذه الآية، نقلا عن ابن عباس - رضي الله عنه: "الإحسان: الإخلاص في التوحيد ،

وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم " : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه" <sup>3</sup> . وهذا المعنى يتفق مع تفسير ابن

عباس لـ" العدل " في الآية نفسها، بالتوحيد ، أو قول : لا إله إلا الله<sup>4</sup>، لأن التوحيد الذي يأمر به المولى عزّ وجلّ ليس

مجرد كلمة يلفظ بها اللسان، وإنما هو إخلاص العبادة لله، فلا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبده ويتقرب إليه ، ومن ثمّ

كان الإحسان متمماً لمعنى التوحيد، وإعلان العبودية لله وحده لا شريك له. قال الإمام الجرجاني: " الإحسان: هو

التحقق بالعبودية على مشاهدة حضرة الربوبية بنور البصيرة، أي رؤية الحق موصوفا بصفاته بعين صفته، فهو يراه يقينا،

<sup>1</sup> ينظر الصحاح للأزهري، ولسان العرب، والقاموس المحيط للفيروزابادي، (مادة: حسن).

<sup>2</sup> كتاب التعريفات، ص:29.

<sup>3</sup> ينظر تفسير البغوي، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله وآخرون، دار طيبة للنشر. 39/5.

<sup>4</sup> سبقت الإشارة إلى هذا في مبحث "العدل".

ولا يراه حقيقة، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: " كأنتك تراه "؛ لأنه يراه من وراء حجب صفاته، فلا يرى الحقيقة بالحقيقة " 1.

وكما يكون الإحسان بمعنى الإخلاص في التوحيد، يكون كذلك في العبادات، قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل: " لا تدعَنَّ أن تقول دبر كل صلاة مكتوبة: اللهم أعني على ذكرك وعلى شركك وعلى حسن عبادتك " [ رواه أبو داود].

قال الإمام ابن حجر: " وإحسان العبادة: الإخلاص فيها والخشوع، وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود " 2.

**2. الإحسان بمعنى: الإنعام ، كما في قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ [يوسف:100].**

فقد ذهب العديد من المفسرين إلى أنّ " أحسن بي " في هذا الموضع هو بمعنى : أنعم علي 3. وتأكيده ذلك ما وقع به الإحسان، وهما أمران، الأول: إخراجه . عليه السلام . من السجن بعد تبرئته من التهمة الشنيعة التي نسبت إليه، وهذه نعمة من الله عليه ومنّة. قال الواحدي في معرض الموازنة بين خروج يوسف . عليه السلام . من البئر، وخروجه من السجن: " النعمة في إخراجه من السجن أعظم ؛ لأن دخوله في السجن كان بسبب ذنب همّ به " 4.

والثاني: المجيء بأهله من البادية، وهذه نعمة أخرى؛ لأنّ مجيء أهله إلى حيث هو قوي ومكين، يزول ألمه النفسي ، وتزول وحشته وشوقه إليهم، وهي نعمة أيضا على أهله ؛ لأنهم تخلّصوا من قساوة العيش في البادية 5.

وقد ذهب بعض المفسرين إلى تضمين " أحسن " معنى لطف ؛ لأنّه جاء متعديا بالباء 6. ولا تعارض بين هذا المعنى والمعنى السابق، أي أنعم؛ لأن من معاني اللطف الرفق، وإذا لطف الله بعباده ورفق بهم، أنعم عليهم وأخرجهم من الضيق الذي يكونون فيه. نحو قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [الشورى:19] .

**3. الإحسان بمعنى: الطاعة، في نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص:77].**

1 التعريفات، ص: 29.

2 فتح الباري، 1/120.

3 ينظر تفسير البغوي، 4/280، و في ظلال القرآن، 4/20.

4 ينظر تفسير الرازي، 18/214.

5 ينظر التحرير والتنوير، 14/58.

6 تفسير الألوسي، 13/59.

والمقصود بـ " أحسن " الأول ، أنه بمعنى: أطلع، أي أطلع الله وابعده، كما أنعم عليك، ومنه سؤال جبريل: ما الإحسان؟ وجواب الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «أن تعبد الله كأنك تراه» [رواه الشيخان] . والعبادة طاعة. ويدعم هذا المعنى ، قوله تعالى في آية أخرى، مخاطبا بني إسرائيل: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء:7].

يقول الطبري في تفسير هذه الآية: «( إن أحسنتم ) يا بني إسرائيل ، فأطعتم الله وأصلحتهم أمركم ، ولزمتهم أمره ونهيه ( أحسنتم ) وفعلتم ما فعلتم من ذلك ( لأنفسكم ) لأنكم إنما تنفعون بفعلتكم ما تفعلون من ذلك أنفسكم في الدنيا والآخرة»<sup>1</sup> .

ولخص ابن العربي معاني الإحسان فقال: «جماعها استعمال نعم الله في طاعة الله»<sup>2</sup> .

4. الإحسان بمعنى الاستقامة، في نحو قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ

اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة:100].

ذهب بعض المفسرين إلى تفسير الاتباع بإحسان بأنه اقتداء بالمهاجرين والأنصار من غير أن يحولوا أو يزيغوا عن شيء من طريقهم، فهؤلاء السائرون في استقامة على طريق سلفهم من المهاجرين والأنصار قد استحقوا من رضا الله عليهم ما استحقه الأولون<sup>3</sup> .

وروي عن ابن عباس : «والذين اتبعوهم بإحسان على دينهم إلى يوم القيامة»<sup>4</sup>. أي مستقيمين على طريقهم إلى أن يلقوا الله سبحانه وتعالى. يؤكد هذا المعنى قوله تعالى في آية أخرى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [البقرة:112]. فقد استخلص العلماء من هذه الآية شرطين للعمل المتقبل، أولهما: الإخلاص، وهو

<sup>1</sup> تفسير الطبري، 371/17

<sup>2</sup> الجامع لأحكام القرآن، 288/13.

<sup>3</sup> ينظر نظم الدرر، 8/9.

<sup>4</sup> تفسير الرازي، 176/16.

معنى قوله: (من أسلم وجهه لله)، وثانيهما: موافقة العمل للشريعة، وهو معنى قوله: (وهو محسن)<sup>1</sup>. وليست الاستقامة إلا موافقة للشريعة، لقوله صلى الله عليه وسلم: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمَّ» [رواه ابن حبان].

5. الإحسان بمعنى: الإيمان، في نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ ذُرِّيَّتَهُمَا مُحْسِنٌ وَظَامٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصفات:113].

فالحديث في هذه الآية عن إبراهيم وإسحاق - عليهما السلام - اللذين جعل الله من ذريتهما المؤمن والكافر<sup>2</sup>. قال الزمخشري: «وفيه تنبيه على أن الخبيث والطيب لا يجري أمرهما على العرق والعنصر، فقد يلد البر الفاجر، والفاجر البر. وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر، وعلى أن الظلم في أعقابهما لم يعد عليهما بعيد ولا نقيصة، وأن المرء يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما اجتاحت يدها، لا على ما وجد من أصله أو فرعه»<sup>3</sup>. وذهب بعضهم إلى أن هذه التكملة مقصود بها مشركو مكة، إذ كانوا معتزين بكونهم من ذرية إبراهيم، فأبطل الله هذا الغرور، وبيّن لهم أن التميّز إنما يكون بالإيمان والدخول في الإسلام<sup>4</sup>.

6. الإحسان بمعنى: البرّ، في نحو قوله تعالى: ﴿وَقَصَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تُعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۗ﴾ [الإسراء:23].

تكرر الأمر بالإحسان بالوالدين في خمسة مواضع في القرآن الكريم، في البقرة، الآية:83، وفي النساء:الآية: 36، والأنعام، الآية:151، والإسراء، الآية: 23، والأحقاف، الآية:15<sup>5</sup>. وقد عُدي الإحسان في جميع هذه المواضع بالباء، الأمر الذي جعل بعض العلماء يحمل ذلك على تضمين الإحسان معنى البرّ. قال ابن عاشور: «وعندي أنّ الإحسان إنّما يعدّى بالباء إذا أريد به الإحسان المتعلّق بمعاملة الذات، وتوقيرها وإكرامها، وهو معنى البرّ، ولذلك جاء «وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن» وإذا أريد به إيصال النفع المالي عُديّ بـإلى، تقول: أحسنَ إلى فلان، إذا وصله بمال ونحوه»<sup>6</sup>. يؤكد هذا المعنى أبو هلال العسكري الذي أورد قولهم: "أحسن إلى فلان" بمعنى: نفعه<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> ينظر تفسير ابن كثير، 385/1.

<sup>2</sup> ينظر تفسير الطبري، 92/21.

<sup>3</sup> الكشاف، للزمخشري، 228/5.

<sup>4</sup> ينظر التحرير والتنوير، 163/24.

<sup>5</sup> قرأها الكوفيون إحساناً، وقرأها الباقون: حُسناً، ينظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، 373/2.

<sup>6</sup> التحرير والتنوير، 49/5.

<sup>7</sup> ينظر الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، 193/1.

والنفع يكون ماديا، لا معنويا، في حين نجد التعريف بالبر يختلف عن هذا، لأنه يأتي بمعنى التوسع في فعل الخير، ومنه قولهم: برّ العبد ربّه أي توسّع في طاعته، و وكذا برّ والديه ، أي توسّع في طاعتها<sup>1</sup>.

والطاعة كما هو ظاهر لا يُنتفع بها، وإنما تُدخل البهجة والسرور على النفس، لذلك ذهب كثير من المفسرين في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إلى التركيز على الجانب المعنوي في معاملة الأبناء للأباء.، فذكر الطبري أنه أي الإحسان بالوالدين، هو فعل المعروف لهما ، والقول الجميل ، وخفض جناح الذل رحمة بهما ، والتحنن عليهما ، والرأفة بهما ، والدعاء بالخير لهما ، وما أشبه ذلك من الأفعال المندوبة<sup>2</sup>.

وذكر القرطبي أيضا جملة من الأمور التي تجسّد الإحسان بالوالدين وهي: معاشرتهما بالمعروف ، وحفظهما، وصيانتتهما ، والتواضع لهما، وامتنال أمرهما ، وإزالة الرق عنهما ، وترك السلطنة عليهما، والدعاء لهما بعد مماثما وصلة أهل ودهما<sup>3</sup>.

وهذا الإحسان الدال على التوسع في الطاعات، إنما هو خاص بالوالدين المؤمنين، أمّا إذا كانا مشركين كلاهما أو أحدهما، فإن التعامل معهما يكون على أساس المعروف، إذ لا طاعة لهما فيما هما عليه من الشرك، دليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة العنكبوت : 8]، فالله سبحانه وتعالى قد أوصى بالاحسان بالوالدين فيما أنزل على رسوله الكريم، لكنه تعالى نفى هذا الإحسان عن المشركين الذين يجاهدان ابنهما ليشرك بالله ، وذلك بنفي طاعتها ، وإثبات المعروف الذي يجب لهما حتى مع دعوتهما له إلى الشرك ، الأمر الذي يدل على عدل الإسلام حتى مع الكفار والمشركين.

وما يدل على أنّ الإحسان أوسع وأشمل من المعروف ، تفسير العلماء للمعروف في الآية السابقة، والآية الأخرى من سورة لقمان، أنه يعني مصاحبتهما، أي الوالدين المشركين، في الدنيا صحبة يرتضيها الشرع، ويقتضيها الكرم والمروءة، كإطعامهما، وكسوئهما، وعدم جفائهما وانتهاهما، وعيادتهما إذا مرضا، ومواراتهما إذا ماتا<sup>4</sup>.

7. الإحسان بمعنى الإتقان، في نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7]

<sup>1</sup> ينظر المفردات للأصفهاني، ص:114.  
<sup>2</sup> ينظر تفسير الطبري: 292/2.

<sup>3</sup> ينظر تفسير القرطبي، 7/119، و 15/2  
<sup>4</sup> ينظر تفسير الألويسي، 88/21.

ذهب أهل التفسير إلى أنّ " أحسن " في هذا الموضع من الآية جاءت بمعنى: أتقن وأحكم<sup>1</sup>، أي إنّ الله سبحانه وتعالى جاء بكلّ شيء خلقه على ما أراد ، لم يتغير عن إرادته، وهو مثل قوله تبارك وتعالى : (الذي أعطى كل شيء خلقه) [ طه:50] أي لم يخلق الإنسان على خلق البهيمة ، ولا خلق البهيمة على خلق الإنسان<sup>2</sup>.

وتأكيدا على أنّ (أحسن) في الآية السابقة ، ليست من الحسن ، قال ابن عباس وعكرمة : «ليست است القرد، [أي مؤخرته] بحسنة ، ولكنها متقنة محكمة»<sup>3</sup>.

وقد جاء الإحسان بمعنى الإتقان في حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - « إنّ الله كتّبت الإحسان على كلّ شيء، فإذا قتلتهم فأحسنوا القتلَ وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحَ وليُحدّ أحدكم شفرته وليُرح ذبيحته» [ رواه ابن حبان].

8. الإحسان بمعنى: عدم المماطلة والتأخير، في نحو قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ [البقرة:178].

والمقصود في الآية أنه على القاتل في حال تنازل صاحب الدم عن القصاص، وقبوله بالدية، أن يؤدي إليه هذه الدية بإحسان ، أي من غير مماطلة وتأخير عن الوقت<sup>4</sup>.

وهذا من الأمور الجميلة التي حثّ عليها الإسلام، إذ لا يعدّ العمل الصالح صالحاً إلا إذا أدي في وقته المناسب، سواء كان هذا العمل من العبادات أم من الأعمال الأخرى التي تعود بالنفع على المسلمين. وأداء الحقوق عمل صالح، لكن بشرط أن تؤدي هذه الحقوق بدون ممطلة أو تأخير، ولذلك قال - صلى الله عليه وسلم - : « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه» [ رواه البيهقي].

9. الإحسان بمعنى : كل خلق جميل أو عمل صالح، وهو كثير في القرآن الكريم. منه قوله تعالى: ﴿ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [ المائدة:13]. إذ معنى المحسنين هنا هم الذين يتخلقون بخلق العفو والصفح، فيعفون ويصفحون عن أساء إليهم، فاستحقوا بذلك محبة الله<sup>5</sup>.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [ آل عمران:134].

<sup>1</sup> تفسير الطبري، 170/20. والقرطبي،

<sup>2</sup> تفسير القرطبي، 85/14.

<sup>3</sup> المرجع السابق

<sup>4</sup> ينظر تفسير الطبري، 367/3.

<sup>5</sup> ينظر تفسير ابن كثير، 67/3.

فإنّ المعنى بالمحسنين في قوله: والله يحب المحسنين " هم الذين يعملون ويتصفون بالأخلاق التي يحبها الله سبحانه وتعالى، ومن ثمّ فإنّ الإنفاق إحسان، وكظم الغيظ إحسان، والعفو عن الناس إحسان.

وقد ذكر الإمام السعدي في سياق تفسيره لهذه الآية أنّ الإحسان نوعان: الإحسان في عبادة الخالق. [ وهو الذي سبقت الإشارة إليه ] والإحسان إلى المخلوق.، وهو المقصود في الآية، ويتمثل. كما قال . في «إيصال النفع الديني والدينيوي إليهم، ودفع الشر الديني والدينيوي عنهم، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، والنصيحة لعامتهم وخاصتهم، والسعي في جمع كلمتهم، وإيصال الصدقات والنفقات الواجبة والمستحبة إليهم، على اختلاف أحوالهم وتباين أوصافهم، فيدخل في ذلك بذل الندى وكف الأذى، واحتمال الأذى»<sup>1</sup>.

ومن الصفات التي عدّها القرآن إحسانا الصبر في قوله تعالى:

﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيْعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود:115]

وكذلك التصديق المفضي إلى طاعة الله، إحسان، كما في قوله تعالى مخاطبا إبراهيم . عليه السلام .: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصفات:105]

والنصح لله ورسوله إحسان أيضا كما في قوله تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:91].

قال الطبري: «ليس على من أحسن فنصح لله ورسوله في تخلفه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الجهاد معه - لعذر يعذر به - طريق يتطرق عليه فيعاقب من قبله»<sup>2</sup>.

وخلاصة القول في معاني الإحسان، أنه كلّ عمل صالح يكون ثمرة للإيمان الصادق، والإسلام الصحيح كما بيّن ذلك الإمام الغزالي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف:30] فقال: «لقد علمت أنّ الإيمان حسن معرفة لله وثقة نامية فيه ، وأنّ الإسلام استجابة مطلقة لتعاليمه ، وتحرق دقيق لرضاه ، فإذا تجمعت هذه العناصر ، وجرت فيها مشاعر اليقين ، واينعت فيها صوالح الأعمال ، فإن المرء يكون لا محالة محسناً»<sup>3</sup>.

## 2. العلاقة بين العدل والإحسان وصور تطبيقهما.

<sup>1</sup> تفسير السعدي ، 243/2.

<sup>2</sup> تفسير الطبري 420/14.

<sup>3</sup> الجانب العاطفي من الإسلام، لمحمد الغزالي، دار نهضة مصر، الطبعة: الأولى، ص:36.

العدل والإحسان . كما سبق القول في معانيهما . لفظان جامعان لكل أبواب الخير وأنواع الطاعات . فقد روي عن الحسن البصري أنه قرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ثم قال : إن الله عز وجل جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئاً إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغى من معصية الله شيئاً إلا جمعه . [ رواه البيهقي في شعب الإيمان ] .

وقد اقترن الإحسان بالعدل في الآية السابقة ؛ لأنه متمم له في المعنى ؛ إذ العدل . كما يقول ابن حجر . هو الإتيان بالمأمور بغير زيادة فيه ولا نقصان منه، وأما الإحسان فهو الزيادة على العدل، ومنه الزيادة على الفرض بالتطوع المأذون فيه<sup>1</sup> .

وربما تأكدت لنا هذه العلاقة بين العدل والإحسان من خلال أقوال السلف فيهما<sup>2</sup>:

- "العدل لا إله إلا الله ، والإحسان الفرائض" فالعدل مع الله ألا نشرك به شيئاً؛ لأن الشرك ظلم، فإذا استقر الإيمان في الصدر، سعى المؤمن إلى تحسين علاقته بالله عزّ وجلّ، وذلك بإتيان الفرائض التي افترضها عليه، لقول الله عزّ وجلّ في الحديث القدسي: « مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ » [السلسلة الصحيحة للألباني] .

فالتقرب إلى الله بالفرائض إحسان بني على أساس العدل، وهو التوحيد، وإلاّ فما قيمة أداء الفرائض إذا كان العبد مشركاً أو مشككاً في وحدانية الله سبحانه وتعالى؟

- "العدل العبادة ، والإحسان الخشوع فيها" : العبادة والخشوع أمران متلازمان، أو ينبغي أن يكونا متلازمين ، إذ العبادة ظاهر وباطن، فالمرء قد يصلي أو يصوم أو يقرأ القرآن امتثالاً لأمر الله تعالى، فيكون بذلك قد حقق العدل، لكن هل خضع قلبه وخشعت جوارحه أثناء أدائه للعبادة؟ فإن فعل فقد أحسن؛ لأن الخشوع هو جوهر العبادة، وهو المتمم لها يجعل قلب المرء متصلاً بالله وحده، لا يشغله عن ذلك شاغل من أمور الدنيا.

- "العدل الفرائض والإحسان النافلة": إذا كان أداء الفرائض يجزئ العبد ويدخله الجنة، فإن اكتفائه بها يكون عدلاً، وذلك مصداقاً لقوله . صلى الله عليه وسلّم . للرجل الذي جاء يسأله:

<sup>1</sup> ينظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تح: عبد القادر الحمدي، ط1، 2001، 495/10.  
<sup>2</sup> ينظر م س



«أرأيتَ إذا صَلَّيْتُ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَاتِ وَصُمْتُ رَمَضَانَ وَأَحَلَلْتُ الحَلَالَ وَحَرَّمْتُ الحَرَامَ وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا أَدْخُلُ الجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا» [رواه مسلم].

فأما إذا لم يكتفِ العبد بما افترضه الله عليه، وأقبل على ربّه بمزيد من الطاعات، فإنه بذلك يكون محسنا مستحقا لجزاء أوفر من الجزاء الأول، تصديق ذلك قوله تعالى في الحديث القدسي:

«و ما زالَ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَ يَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَ رِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَ إِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَ لَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ» [السلسلة الصحيحة للألباني]

● "العدل الإنصاف، والإحسان التفضل" وهذان المعنيان للعدل والإحسان، هما أكثر المعاني شيوعا بين العامة، وقد أكدتهما روايات عديدة عن الصحابة والتابعين. فضلا عما جاء في القرآن والسنة النبوية الشريفة. فعن ربعي بن عامر رضي الله عنه أنه قال لرستم قائد الفرس لما سأله: ما جاء بكم؟ فقال: «اللَّهُ ابْتَعَثَنَا لَنُخْرِجَ مِنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمَنْ ضَيَّقَ الدُّنْيَا إِلَى سَعْتِهَا، وَمَنْ جَوَرَ الأَدْيَانَ إِلَى عَدْلِ الإِسْلَامِ، فَأَرْسَلْنَا بَدِينَهُ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبَلَ ذَلِكَ قَبَلْنَا مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَمَنْ أْبَى قَاتَلْنَاهُ حَتَّى نَفِيءَ إِلَى مَوْعِدِ اللَّهِ»<sup>1</sup>. فذكر الجور في حق العباد، وقابله بالعدل معهم، الأمر الذي يجعلنا نتأكد بأن العدل بمعنى الإنصاف، وهو الشائع، إنما يكون بين العبد وغيره من الناس. وقد ذهب هذا المذهب ابن العربي عندما قسم العدل ثلاثة أقسام: الأول: العدل بين العبد وربّه بامتثال أوامره واجتناب مناهيه، والثاني: العدل بين العبد وبين نفسه، ويتحقق بمزيد الطاعات وتوقّي الشبهات والشهوات، والثالث: العدل بين العبد وبين غيره بالإنصاف<sup>2</sup>. وهذا الأخير هو الذي يكون له كبير الأثر على نفوس المستضعفين؛ لأنه يأسر قلوبهم، ويجعلها رهن إشارة الشخص الذي عدل معهم، وقد قدّمت لنا السيرة النبوية أروع الأمثلة في هذا المجال.

فَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ شَيْئًا أَقْبَلَ رَجُلًا فَأَكَبَّ عَلَيْهِ فَطَعَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعُرْجُونٍ كَانَ مَعَهُ فَخَرَجَ الرَّجُلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تَعَالَ فَاسْتَقِدْ) قَالَ: بَلْ قَدْ عَفَوْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ» [رواه النسائي].

فالرسول الأعظم - صلوات الله وسلامه عليه - يدعو رجلا بسيطا إلى أن يقتصص منه على الرغم من أنّ الأذى الذي ألحقه - صلى الله عليه وسلم - بهذا الرجل، لا يكاد يُنظر إليه على أنه أذى أو ضرر.

<sup>1</sup> تاريخ الرسل والملوك، الطبري، تح: محمد أبو الفضل، دار المعارف المصرية، 520/3.  
<sup>2</sup> ينظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تح: عبد القادر الحمد، ط1، 2001، 495/10.

ومن أمثلة عدله . عليه أزكى الصلاة والتسليم . ، مشاركته لأصحابه في العمل، وعدم قبوله التميّز عنهم على الرغم من إلحاحهم على كفايته العمل. كما جاء في الحديث الذي ذكره الطبري:

«أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان في بعض أسفاره فأمر بإصلاح شاة فقال رجل يا رسول الله علي ذبحها، وقال آخر علي سلخها وقال آخر علي طبخها، فقال صلى الله عليه وسلم وعلي جمع الحطب فقالوا يا رسول الله نحن نكفيك، فقال قد علمت أنكم تكفوني ولكني أكره أن أتميز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه وقام صلى الله عليه وسلم وجمع الحطب»<sup>1</sup>.

وأما نماذج الإحسان، فيكفيها أنموذجا أنّه . صلى الله عليه وسلم . لما مكّنه الله من قريش الذين آذوه وأصحابه أذى كبيرا ، وأخرجوهم من ديارهم وسلبوهم أموالهم، لم يسارع إلى القصاص منهم ، وهو الجزاء العدل الذي يستحقونه، وإّما قال قولته الخالدة خلود رسالته: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

وبما أنّ العلاقة بين العدل والإحسان، هي علاقة تكامل ، إذ الإحسان يكمل ويزيّن العدل الذي هو الأصل في تعامل العبد مع غيره، فقد ذهب بعض العلماء إلى القول أنّ العدل واجب، بينما الإحسان مندوب.

غير أن بعض الدارسين لاحظ أنّ هذا الحكم غير صحيح؛ إذ من الإحسان ما هو فرض، كالإحسان إلى الوالدين في نحو قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

فإن قيل: فلماذا قدّم ذكر العدل على الإحسان، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل:90] كان الجواب: لأنّ "العدل" كلّّه واجب، بينما "الإحسان" واجب ومندوب، والواجب أولى؛ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: "وما تقرب إلي عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه" [رواه البخاري:2].

ومهما يكن من اختلاف حول حكم العدل والإحسان ، يبقى أنّ العدل هو الأساس الذي قامت عليه السموات والأرض، وتقوم عليه حياة الناس، وذلك بأداء الحقوق كاملة غير ناقصة إلى أصحابها المستحقين لها ، و جبر كسر المظلومين برد مظالمهم، وتعويضهم ما لحقهم من ضرر ، من غير أن يكون في ذلك تمييز على أساس الجنس أو الدين أو أي اعتبار آخر: قال تعالى مخاطبا رسوله الكريم: ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى:15].

<sup>1</sup> خلاصة سير سيد البشر ، لمحّب الدين الطبري، 87/1.

<sup>2</sup> ينظرالتفسير البياني لما ورد في سورة النحل من دقائق المعاني، سامي وديع القدومي، دار الوضاح للطباعة والنشر، عمان الأردن،

وأما الإحسان فهو الجامع للأخلاق كلها التي يحتاج العدل أن يتزين بها، ذلك أن العدل يقوم على المعاملة بالمثل، في حين أن الإحسان يقوم على قاعدة ﴿ اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت:34]

لذلك قال - صلى الله عليه وسلم في وصيته لبعض أصحابه: «ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة أن تصل من قطعك وتُعطي من حرّمك وأن تغفوَ عَمَّن ظَلَمَكَ» [الترغيب والترهيب].

فذلك هو الإحسان في الإسلام، أن يسعى المسلم لكسب قلوب من حوله من المسلمين وغير المسلمين، فيكون واصلا لرحمه وجاره وأصدقائه حتى وإن قطعوه، وباذلا لهم من ماله حتى وإن حرموه، وكرهما متسامحا متجاوزا عنهم وإن ظلموه. فتلك هي الأخلاق التي ساد بها المسلمون وبنوا عليها حضارتهم، وجمعوا بها القلوب حولهم، حتى انقلب بغض الأعداء الجاهلين بهذا الدين حبا وعشقا للإسلام والمسلمين.

وختاما نقول: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وليس هناك كالعدل والإحسان دعامة وأساسا للبناء والإصلاح.

#### وأما نتائج البحث فنلخصها فيما يأتي:

- العدل والإحسان قيمتان إسلاميتان لا نظير لهما في أي ديانة أخرى ولا في أي قانون وضعي مهما كان راقيا.
- العدل في المفهوم اللغوي لا يتجاوز معنى التوسط بين الأمرين أو المساواة بين الأشياء والمناسبة بينها.
- العدل في الاصطلاح القرآني أوسع بكثير من المفهوم اللغوي، فهو التوحيد الذي أمر به الله، وهو العلم والفقه اللذان يقوم عليهما كل شيء، وهو الإقساط في الحكم، والحكم على بصيرة وعلم، وهو عدم التحريف والتزوير، وعدم اتباع الهوى، وهو الصدق في القول، وهو افتداء المرء لنفسه من العذاب، وهو مجامع الفضائل التي تجعل المرء نافعا للناس بعلمه ورأيه وسعيه.
- الحكمة من تعدد معاني العدل في القرآن الكريم، أن الله أراد تحديد شروط العدل وصفات العدول؛ لأن مدار هذه المعاني كلّها على التقوى والعلم وفضائل الصفات والأعمال.
- معنى الإحسان في اللغة ينحصر بين إتقان الشيء، وإيصال النفع للنفس أو الغير.
- الإحسان في الاصطلاح القرآني، أوسع منه في اللغة، فهو الإخلاص والطاعة، والإيمان والبر، والإنعام، والاستقامة، والإتقان، وكل خلق جميل أو عمل صالح.
- خلاصة معاني الإحسان في القرآن الكريم أنه كلّ عمل صالح يكون ثمرة للإيمان الصادق، والإسلام الصحيح.
- العلاقة بين العدل والإحسان علاقة تكامل. الأصل فيها العدل، والإحسان متمم له.
- العدل يقوم على أساس المعاملة بالمثل، والإحسان يقوم على قاعدة: "ادفع بالتي هي أحسن".
- العدل والإحسان تطبيق وممارسة، ضرب فيهما المسلمون أروع الأمثلة.

● لا سبيل لتأليف القلوب وجمعها على الإسلام إلا برفع راية العدل والإحسان في المجتمعات الإسلامية.

هذا ونسأل الله تعالى أن يصلح أحوالنا ويسدد خطانا لما فيه خير أمّتنا وفلاحها.

### قائمة المصادر والمراجع:

- الأحكام السلطانية لعلي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان.
- البداية والنهاية لابن كثير، تح: عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، 2003م.
- تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين ط: الرابعة ، 1990م.
- تاريخ الرسل والملوك ، لمحّب الدين الطبري، تح: محمد أبو الفضل، دار المعارف المصرية.
- الترغيب والترهيب، لزكي الدين عبدالعظيم المنذري، تح: محمد السيد : - دار الفجر للتراث - القاهرة - الطبعة: الأولى 1421 هـ - .
- تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للطباعة والنشر.
- تفسير البغوي ، محمد بن الحسين البغوي، تحقيق محمد عبد الله وآخرون، دار طيبة للطباعة والنشر.
- التفسير البياني لما ورد في سورة النحل من دقائق المعاني، سامي ودبيع القدومي، دار الوضاح للطباعة والنشر، عمان الأردن.
- تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس.
- تفسير الرازي، أو مفاتيح الغيب، لفخرالدين بن الحسين الرازي ،، تحقيق هاني الحاج وعماد زكي، المكتبة التوفيقية ، القاهرة، 2003م
- تفسير الطبري . جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر الطبري نشر دار الفكر . بيروت.
- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، الطبعة الثانية 1372هـ، نشر دار الشعب . القاهرة.
- تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب 1990 م .
- الجانب العاطفي من الإسلام، لمحمد الغزالي، دار نهضة مصر، الطبعة: الأولى.
- خلاصة سير سيد البشر ، لمحّب الدين الطبري . دائرة المعارف العثمانية ، الهند، 2005م.
- روح المعاني: شهاب الدين الألوسي، إدارة الطباعة المنيرية . مصر.
- سنن ابي داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، 2009م.

- سنن الترمذي، الجامع الصحيح: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاکر وآخرون.
- السيل الجرار لمحمد بن علي الشوكاني، دار ابن حزم، ط: الأولى.
- صحيح البخاري، تح: محب الدين الخطيب - المكتبة السلفية - القاهرة - الطبعة: الأولى 1400 هـ.
- صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث - بيروت،.
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تح: عبد القادر الحمد، ط1، 2001م
- فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني، راجعه واعتنى به: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، 2004م.
- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة.
- في ظلال القرآن لسيد قطب، دارالشروق، بيروت القاهرة، الطبعة: 17.
- كتاب التعريفات لعلي بن علي الحسيني الجرجاني، تحقيق نصر الدين تونسي، دار النشر: الدراسة القاهرة، ط1، 2007م.
- الكشاف لابن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 1، 2006م.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت،
- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، 2000م، الطبعة: 1.
- معاني الأخفش، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة (الأخفش الأوسط) مكتبة الخانجي، 1990م، ط: الأولى.
- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، 2004م.
- مفردات غريب القرآن للأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ
- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى للإمام أبي حامد الغزالي، تح محمد عثمان الشخت، دار القرآن بولاق.
- النشر في القراءات العشر لابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت.

